﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾

[المائدة: 74]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

بعد أن حذَّرهم سبحانه مِنَ الاستمرار على قولهم الإفك، وترهيبهم مِن العذاب الأليم؛ رغَّبهم في الرُّجوع إلى الاعتقاد الحقِّ، فالجمع بين التَّرغيب والتَّرهيب: دعوةٌ للإيمان والهداية؛ خوفًا من عذاب اللَّه تعالى أو طمعًا في ثوابه، أو لهما معًا، وبيانٌ بأنَّ باب المغفرة مفتوحٌ لمن طلب الغُفران[1]؛ لأنَّ مِن شأن العاقل أنَّه لا يُقْدِمُ على باطلٍ، فإن وقَعَ ذلك مِنْهُ، وشعرَ بنوع ضررٍ يأتي بسَبَبِه؛ بادرَ إلى الإقلاع عنه[2].

❁ المَعْنَى الإجْمَالِيُّ:

أفَلَا يَرْجِعُ هؤلاءِ عَن مقَالَتِهم تلكَ، تائِبِيَن إلى اللَّه تعالَى مِنْهَا، ويَسألُونَهُ المَغْفِرَةَ علَى مَا ارتكبُوه مِن الشِّرك به؟ واللَّه غَفور لمَن تابَ إليه مِن أيِّ ذنبٍ كانَ، ولو كانَ الذَّنبُ هو الشِّرْكَ به، رحيمٌ بعبادِهِ المُؤْمِنِينَ[3].

من أقلعَ، واستغفرَ؛ تاب اللهُ عليه

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

بلاغةُ الاستفهام في الآية:

الاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ﴾؛ للدَّلالة على أمور ثلاثة:

أوَّلها: توبيخهم على ما كان منهم، وأنَّه يستحقُّ التَّوبَة والاسْتِغْفَار.

وثانيها: التَّعجُّب من بقائهم على حالهم مِنَ الإفك والإصرار عليه، مِن أنَّه لَا يقبله عقل، ولا يُذعِن له مصدِّق، بل لَا يتصوَّرُه متصوِّر.

في الاستفهام توبيخٌ، وتعجيبٌ، وتحريضٌ

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 6/284، وأبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 5/2310.
(2) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 6/253.
(3) جماعة من علماء التفسير، المختصر في تفسير القرآن الكريم، ص: 120.

وثالثها: تحريضهم على التَّوبَة، أي: الرُّجوع إلى اللّه تعالى، وما تُقِرُّه العقول، ولا تنبو عنه الأفهام، وعلى طلب الغفران عمَّا سلف منهم مِن قول، وأنَّ باب الغفران مفتوح[1].

بلاغة العطف على المقدَّر بالفاء:

الإصرار على عدم التَّوبَة مع تحقُّق مصاديقها مدارُ إنكار وتعجيب

الفاء في ﴿أَفَلَا﴾ للعطف، حجزتْ بين الاستفهام و(لا) النَّافية، والتَّقدير: فَأَلَا، وعلى طريقة الزَّمخشري تكون قد عطفت فعلًا على فعلٍ مقدَّر يقتضيه المقامُ، كأنَّ التَّقدير: أَيَثْبُتُون على الكُفْر، فلا يتوبون، أو ألَا ينتَهُون عن تلك العقائد الزَّائغة والأقاويل الباطلة، فلا يتوبون إلى اللّه تعالى، ويستغفرُونَه بالتَّوحيد والتَّنزيه عمَّا نسبوه إليه مِنَ الاتِّحاد والحلول، فمدارُ الإنكار والتَّعجيب عدمُ الانتهاء وعدم التَّوبَة معًا، أو أيَسْمعون هذه الشَّهاداتِ المكرَّرة والتَّشديداتِ المقرَّرة، فلا يتوبون عَقِيب ذلك، فمدارُهما عدم التَّوبَة عَقيبَ تحقُّق ما يوجبها مِن سماع تلك القوارِع الهائلة، وهم أجدَرُ النَّاس بذلك؛ لأنَّ كفرَهم أقبحُ الكُفْر، وأفضحُ في سُوء الاعتقاد، فتعجَّب مِن كونهم لا يتوبُون مِن هذا الجُرْم العظيم[2].

في العطفِ لُطفٌ بهم، وحثٌّ على الإنابة بعد سوء صنيعهم

ومعنى قوله: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ﴾، أي: أيصرُّون، فلا يتوبون؟ ففيه معنى: التَّعجُّب على الإصرار والتَّحضيض على التَّوبَة[3]، ولطفٌ بهم واستدعاءٌ إلى التَّنصُّل من تلك المقالة الشَّنعاء بعد أن كرَّر عليهم الشَّهادة بالكُفْر، وما ذكروه مِنَ الحثِّ والتَّحضيض على التَّوبَة من حيث المعنى، لا من حيث مدلول اللَّفظ؛ لأنَّ ﴿أَفَلَا﴾ غير مدلول (أَلَا) الَّتِي لِلْحَضِّ والحثِّ[4].

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 5/2310.
(2) الزمخشري، الكشاف: 1/664، وأبو حيّان، البحر المحيط: 4/331، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/67 - 68.
(3) الطيبي، فتوح الغيب: 5/447.
(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/331.

دلالة الأمر في فِعْلَيِ التَّوبَة والاسْتِغْفَار:

في الأمر طلبٌ للتَّوبة والاستغفار وحثٌّ عليهما

نُقل عن الفرَّاء أنَّ قوله: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ﴾ استفهامٌ معناه الأمر، كقوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة: 91]، وقال: إنَّما كان بمعنى: الأمر؛ لأنَّ المفهوم من الصِّيغة: طلبُ التَّوبَة والحثُّ عليها، وندب سائر النَّصَارى إلى التَّوبَة من هذه المقالة الخبيثة، فمعناه: تُوبوا إلى الله، واستغفروه مِن ذنبكم[1].

براعة إظهار اسمه الأعظم:

لله سبحانَه في كلِّ مقامٍ تَجَلٍّ بحسَبِ اقتضاء ذلك المقام

أظهر اسمه الأعظم الجامع لأسمائه الحُسنى موضع الضَّمير وكرَّره؛ تقريرًا لِلقُوَّة الكاملة والعزَّة القاهرة، وإيذانًا بأنَّ من تكونُ توبتُه إلى مَنِ اسمه الله؛ فأعْظِمْ بتوبته! فإنَّ اسمَهُ الأعظم جامعٌ لسائر صِفاته الحُسنى وأسمائه العظمى، وله في كلِّ مقامٍ تجلٍّ بحسب اقتضاء ذلك المقام، وهذا المقام مقام التَّوبَة عن جسيم ذنبٍ، فالتَّجلِّي بوصف التَّوَّابيَّة، يناسبُه الإظهار[2].

بلاغة التَّذييل بصيغَتَي المبالغة:

من تاب، واستغفر؛ تاب الله عليه بواسع رحمته وشدَّة غُفرانه

قوله: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ تذييلٌ بثناء على الله بأنَّه يغفر لِمَنْ تاب، واستغفر ما سلف منه؛ لأنَّ صيغتَيْ: ﴿غَفُورٌ﴾ و﴿رَّحِيمٌ﴾ من أمثلة المبالغة، وهما يدلَّان على شدَّة الغفران وشدَّة الرَّحمة، فهو وعدٌ بأنَّهم إنْ تابوا واستغفروه؛ رفَعَ عنهم العذابَ برَحْمَتِه وصفح عمَّا سلف منهم بغفرانه[3]، ولا عجبَ؛ فإنَّ المُسْتَجْمِعَ صِفَاتِ الكمال أزَلًا وأبدًا غفورٌ بليغُ المغفرة، يَمْحُو الذُّنوبَ، فلا يعاقب عليها، ولا يعاتب، وهو (رحيمٌ)، ومن آثارِ رحمتِهِ: مبالَغَتُهُ في إكرامِ مَنْ أقبل إليه[4].

---

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/331، والخازن، لباب التأويل: 2/66، وما نقل عن الفراء فهو من كلامه على قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ﴾ [آل عمران: 20]: "وهو استفهامٌ، ومعناه أمرٌ، ومثله قول اللَّه ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة: 91] استفهامٌ وتأويله: انتهوا"، ينظر: الزجاج، معاني القرآن: 1/202. ولم يؤوِّل ذلك المعنى في (ألا).

(2) أفدتُ من توجيهٍ للطيبيِّ، في فتوح الغيب: 11/295 - 296. في غير موضع الآية محلّ التفسير.

(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 6/284.

(4) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 6/254.

ففي وصف نفسه ﷻ في هذا الموضع بالغفران والرَّحمة: استجلابٌ للتَّائبين وتأنيسٌ لهم؛ لِيَكُونُوا على ثقة مِنَ الِانْتِفَاعِ بتَوْبتِهم[1].

نـاسـبَ حُـسْـنُ اسـتـعـطـافـه تعالى في المُفتتح: توبتُه في المُختَتَم

لَمَّا استعطفهم إلى التَّوبَة والمغفرة أحسنَ استعطافٍ، وحثَّهم على ذلك بألطف عبارَةٍ، وهو قوله: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ﴾؛ ناسب أنْ يختم باسمَيْه: الغفور والرحيم؛ لِمَا في ذلكَ من الإشارةِ إلى أنَّهم إنْ فعلوا ذلك - على الرَّغم من عِظَمِ ذنبهم - فإنَّه سَيَغْفِرُ لَهم[2]، فلم يُغْلِقْ بابَ التَّوبَة عليهم - مع قبيح أقوالِهم، وفسادِ عقائِدهم - تَضْعِيفًا لآمال المؤمنين بخَصَائِص رحمته[3].

توجيه حاليَّة جملة الفاصلة:

من عظيم رحمة اللـه تـعـالى مـبـالـغـتُـهُ في العفو عمَّن أناب إليه مستغفرًا

قوله ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ جملةٌ حاليةٌ مِن فاعلِ ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ﴾ مؤكِّدةٌ للإنكار والتَّعجيب من إِصْرَارِهم على الكُفْر، ودوامهم على الجحود، وعدم مسارعتهم إلى الاسْتِغْفَار، أي: والحالُ أنَّه تعالَى مبالغٌ في غُفْرَانه، فَيَغْفِرُ لهم عندَ استغفارِهم، ويمنَحُهُم مِن فَضْله[4].

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

التَّوبَة والاسْتِغْفَار:

بـالـجـمـع بين الإقـــلاع عـن الـذَّنـب وطلب المغفرة عَـنْـهُ؛ يتحقَّق وعدُ الله تعالَى بالتَّوبة

الاسْتِغْفَار: طلبُ المَغْفِرَة بالدُّعَاءِ وَالتَّوبَة، أو بغيرهما من الطَّاعَة، والتَّوبَة: النَّدَمُ على الخَطِيئَة مَعَ العَزْم على ترك المعاودة إليها[5]، فَجَمع في الآية الكريمة بين الفِعْلَيْن؛ لأنَّ التَّوبَة: هي الإقلاع عمَّا هم عليه في المستقبل، والرُّجوع إلى الاعتقاد الحقِّ، وهو التَّوحيد،

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 2/222.
(2) الشّنقيطي، أضواء البيان: 1/418.
(3) القشيريّ، لطائف الإشارات: 1/440.
(4) أبو السعود، إرشاد العقل السّليم: 3/68.
(5) العسكريّ، الفروق اللغوية، ص: 235.

والاسْتِغْفَار طلبُ المغفرةِ عمَّا سلف مِن كفرهم في الماضي، والنَّدم عمَّا فرَطَ مِنْهُمْ مِن سُوءِ الاعتقاد[1]، وبالجمع فيما بينَهُمَا يتحقَّق وعدُ اللهِ تعالَى بالتَّوبة عليهم، والتَّفضُّل برفع العقاب، والنَّجاة مِنَ العذَابِ.

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 6/284.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع، سورة المائدة من الآية 26 إلى الآية 106
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة المائدة من الآية 26 إلى الآية 106 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 9 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-61-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 9 : سورة المائدة من الآية 26 إلى الآية 106.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-61-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-3504784 بتاريخ 2023/03/27م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»